الأثر العقائدي لحادثة المباهلة

يوم المباهلة من أعظم الأيام التي شهدها الإسلام لما فيه من دلالة على الحق وأهله وعظمة رموزه الذين خرج بهم رسول الله ﷺ لمواجهة النصارى وإبطال دعواهم ودحض حججهم.

وبعد أن جادلوه، طلبهم إلى المباهلة فاستنظروه إلى صبيحة غدٍ للمشاورة فيما بينهم وتحديد موقفهم بعدها فما كان إلا أن الأسقف -وهو أبو حارثة بن علقمة، وهو حبرهم وكبيرهم وإمامهم وصاحب مدارسهم وقد بَنَتْ له ملوك الروم الكنائس وبسطوا عليه الكرامات لما وصلهم من علمه وأجتهاده في دينهم- قال لأصحابه ومرافقيه: «أنظروا فإن كان محمد غدا بولده وأهل بيته فاحذورا مباهلته، وإن غدا بأصحابه وأتباعه فباهلوه»، فقوله هذا أوله يدل على ما استقر في نفس هذا الاسقف من أحقية النبي وأهل بيته بلا نزاع حتى أنه استعد للتنازل عن المباهلة وتقديم الصلح مع الجزية فيما إذا كانت مباهلة الرسول ﷺ بهم عليهم السلام ولازم هذا أن الدين وقوته وحيازة النصر والغلبة إلى جانبه متوقفةٌ على كون المباهلة بمحمد وآله الكرام وإلا إذا

لم يكونوا هم المباهل بهم فلم يكن الدين بتلك القوة التي يقف بها أمام النصرانية التي تدعمها أمبراطورية كبيرة ولها طابع جغرافي كبير وأتباع بأعداد هائلة.

فلما كانت صبيحة الغد وإذا بمحمد ﷺ بصحبة أمير المؤمنين عليه السلام وخلفهما الزهراء عليها السلام وبين يديهما الحسنان عليهما السلام فأي بدورٍ سواطع خرجت لتباهل معبودها من أجل إنزال اللعنة على الكاذبين؟!

فلما رأى الاسقف ذلك سأل من هؤلاء معه؟ فقالوا: هذا ابن عمه وزوج ابنته، وهذان ابنا ابنته، وهذه بنته أعز الناس عليه وأقربهم إليه، وتقدم النبي ﷺ فجثا على ركبتيه، فقال أبو الحارثة: «جثا والله كما جثا الأنبياء للمباهلة»، فامتنع عن المباهلة؛ خوفاً من تلك الهيئة التي جاء بها النبي ﷺ فقال له السيد الذي يقله مرتبة: ادنُ يا أبا الحارثة للمباهلة، فقال: «لا، إني أرى رجلاً جريئاً على المباهلة، وأنا أخاف أن يكون صادقاً، فلا يحول والله علينا الحول وفي الدنيا نصراني يطعم الماء». وكثرت الأقوال حينها رفضاً للمباهلة، فمنهم من قال: «هذه وجوه لو أقسمت على الله أن يزيل الجبال لأزالها». ومنهم من قال: «فلا تبتهلوا

فتهلكوا ولا يبقى على وجه الارض نصراني إلى يوم القيامة»[1]. وغيره.

ومما هو ملفت في هذه المباهلة إخراج السيدة المخدرة فاطمة الزهراء عليها السلام إلى مكان معرَّض لاستشراف الرجال الأجانب ولا يمكن تفسير ذلك إلا ليعلن أمام الأمم ويُظهر أن هؤلاء الخمسة أعز الخلق إليه وهم ثقته، ولم يكن يفرّط بهم في مباهلة مصيرها هلاك أحد المتباهلين إلا لثقته بدعوته وصدقه بأحقيته وهذا من أهم خصال صاحب الدعوى الصادقة فلابد أن يكون ذا ثقة بما يدَّعيه وما يقوله.

والملفت الأخر أن خروج النبي ﷺ بهؤلاء النفر خاصة دال على تبعيتهم له تبعية مختلة عن باقي الأصحاب والأقارب رغم علو قدرهم وفضلهم كالعباس بن عبد المطلب فخروجه ﷺ بهم عليهم السلام أمامه وأمام بقية الأصحاب يسبب له النقد والإستنكار الاجتماعي والعائلي لكنه رغم هذا خصهم بالخروج للمباهلة؛ لأن تبعيتهم تبتني على مشاركتهم له ﷺ في حمل الدعوة والرسالة الخاتمة وتحمل مسؤلياتها والحفاظ عليها وإيصال صوتها إلى أخر الدنيا مهما قاسوا

١- ما نقل من قصة المباهلة من كتاب أعلام الورى: ١/٢٥٦.

من الأذية والمواجهة والمخاطر وذا الحسين بن علي عليه السلام تراه كيف ضحى بولده وعياله وأخوته وصحبه وضحى بنفسه التي هي أقدس نفس حينها كل ذلك في سبيل حفظ تلك الرسالة الإلهية التي كان شريكاً لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في حملها.

ولو تأملنا بقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأمير المؤمنين عليه السلام: «ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى» لالتمسنا معنى المشاركة في حمل الدعوى إذ أن موسى دعا ربه أن يجعل له ولياً من أهله يشركه أمره في الدعوة وحفظها وقَصَدَ هارون فقال الله تعالى حكاية عن موسى عليه السلام: ﴿وَاجْعَل لِّي وَزِيراً مِّنْ أَهْلِي ۞ هَارُونَ أَخِي ۞ اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي ۞ وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي﴾[1] فاستجاب له ربه وآتاه سؤله بجعل هارون شريكاً له في حمل الدعوة وحفظها وإيصالها فقال تعالى: ﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى ۞ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى﴾. ونفس الدلالة تجري لهذه الأحاديث «فاطمة بضعة مني»[2] و«حسن مني وأنا منه...»[3] و«حسين مني وأنا من حسين»[4].

فيكون تخصيص النبي لهؤلاء النفر للمباهلة

١- سورة طه: ٢٩-٣٢.
٢- صحيح البخاري: ٤/٢١٠، كتاب بدء الخلق.
٣- بشارة المصطفى: ٢٤٨.
٤- صحيح ابن حبان: ١٥/٤٢٨.

والتأمين على دعائه إنما لتكون المباهلة من جميع حملة الدعوة، المسؤولين عنها وعن إيصالها وتبليغها، ولك أن تتصور ما سيحدثه الله تبارك وتعالى بالنصارى وقومهم لو أمنّوا أهل بيت النبوة على دعاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

وثبوت هذه الحادثة عند الفرق الإسلامية وبنفس المضامين التي تحمل صفة الطريق السليم المفترض اتباعه يلزمهم الإقرار لأهل البيت عليهم السلام في حق الولاية والخلافة ووجوب الطاعة والعصمة إلا إننا نجدهم يحدُّون دورهم عليهم السلام بالقرابة بالنبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم فقط وينفون المقامات الإلهية العالية والولاية المطلقة لهم عليهم السلام.

ونسأله تعالى أن يثبتنا على ولايتهم وإتباعهم ومواكبة السير على طريقهم لحمل وظيفة التبليغ والبيان للدين الذي جاءوا به في أرجاء المعمورة بمحمد وآله الطيبين الطاهرين والحمد لله رب العالمين.

مؤسسة دار الحكمة للثقافة والعلوم الإسلامية
www.darhikma.net

مركز تميز للتنمية والدراسات الإسلامية
١٣

الأثر العقائدي لحادثة المباهلة

الشيخ محمد باقر الأسدي